ما دارتْ العينُ فى الفضاءِ إلا تَرائيهِ فى المُثولْ
أشهدُه دونَ كلِّ رائى ما كلُّ مَنْ قد رأى يميلْ (١)

وللفقيد فى وفاة الملكة فكتوريا قصيدة لامية طويلة جمعت بين السياسة والوصف والتاريخ لحرب البوير . وله قصيدة بليغة فى أحد تحاريق النيل تُعدُّ من أجود شعره .

ومن شعره النثرى اللطيف الذائع نحبةُ القرن العشرين ، وأوصافُه الشائقةُ المنوَّعةُ فى شتى الأغراض الفنية ، وأعدُّ منه رسائله الاخوانية ، فجميعها فوَّاحةُ بعبقِ الشعرِ ، كما أنَّ له غيرَ قليلٍ من الأغانى المهذَّبة القديمة .

ولعلَّ فى مقدِّمةِ الجديرين بانصاف ذكرى الفقيد الشاعرين الشهيرين أحمد محرم وابراهيم الدباغ ، فكلاهما عليمٌ بأدبه النفيس وجديرٌ بهذا الانصاف فى بلدٍ «كلُّ شىءٍ فيه يُنْسَى بعد حين » ؟

محمد عبد الغفور

الخلود

أموتُ وأحيا كلَّ يومٍ مُجَدَّدَا فأينَ ضلالاتى ؟ وأينَ لىَ الهدَى ؟
لقد جئتُ مِنْ فجرِ الزمانِ كأنّنى خيوطٌ به تَبدا وتَمضى على المدَى
ومَثَّل جسْمى فى النشوء نشوءه فتكوين جسمى رمزُ ما مَرَّ سرمدا
ملايينُ مِنْ حَيِّ الخلايا كيانُها كيانى، وأخرى إنْ تمتْ لم تمتْ مُدى

(١) يميل : يعشق

تَطوَّرَ جسمي بل ونفسي ، فها أنا ... أمثّل ماضي الخَلْق واليومَ والغدَا
أجلْ ، ذلك الآنى البعيدُ أحسُّهُ ... بنَفْسي وأحوي منه أصْلا ممهَّدَا
كما كان جسمي ذرّةً بعد ذرةٍ ... ملايينَ مِنْ عُمر الحياةِ مُخلَّدَا
فما الخلدُ الا النوعُ يَمْضي مخلَّدَا ... وما الموتُ الا الفردُ يحيا مبدَّدَا
وما الرّوحُ الا كلّ معنًى نَشيمُه ... من الحيِّ في شتى الرسومِ ومفرَدَا

* * *

ومَثَّلْتِ لي أنتِ المعاني جميعَها ... فشاهدتُ فيك (الله) روحاً ومعبدا
لئنْ عشتِ في دنيا الأنامِ أسيرةً ... فمن قبلُ قد عاش (المسيحُ) مصفدَا
أبَنْتِ لنا سرَّ الخُلودِ ففرَّدَتْ ... حياتي وأضحى كلُّ حُسْنٍ مغرِّدَا
ولستُ أبالي بعد يومي إن أمُتْ ... متى كنتُ للآتي المؤمَّلِ مُسعِدَا
شرحتُ له دِينَ الجمالِ فحسبُه ... وحسبي إذنْ أني أموتُ له الفِدَى

الإضمار

تأمَّلْتُ في دنياي حتى وجدتُها ... نقيضةَ ما تُبدي لعيني المَظاهرُ
وما كان هذا النَّقضُ نَقضاً بذاته ... ولكنّه فيما يُناقضُ ساحرُ
كما ألَّفَ الأطيافَ ضوءٌ موحِّدٌ ... فغابت ومِن أمواجِها الضوءُ عامرُ
ففي كلِّ شيء آخَرٌ عاش مُضمَراً ... فتبدو وإنْ تُحْجَبْ لحسّي الضمائرُ
وما عالَمُ الذرّاتِ ما العلمُ كاشفٌ ... اذا خَدعتْ كالعالمينَ العناصرُ
تَقلَّبُ ألواناً رياءً مُجدِّداً ... وتَخذُلنا منها النُّهى والمشاعرُ
وما بَذَّها في سُرعةِ الوثبِ طائرٌ ... ولا فاقَها في وثبةِ الوهمِ شاعرُ
فأحسستُ أنّ الكونَ أضعافُ ما أرى ... وكلُّ وجودٍ ضِدُّه فيهِ حائرُ
وآمنتُ بالمعنى الخفيِّ فانه ... مِنَ النورِ بالمخفي وهو كالنورِ غامرُ(١)
تَوَحَّدَتْ الأضدادُ في كلِّ كائنٍ ... ففي المؤمنِ المشهودِ يكمنُ كافرُ
وقد ضَلَّ كلُّ الناسِ ساعةَ هديهمْ ... لذلك دَهرُ الناسِ بالناسِ ساخرُ!

أحمد زكي أبو شادي

(١) اشارة الى أمواج النور غير المنظورة